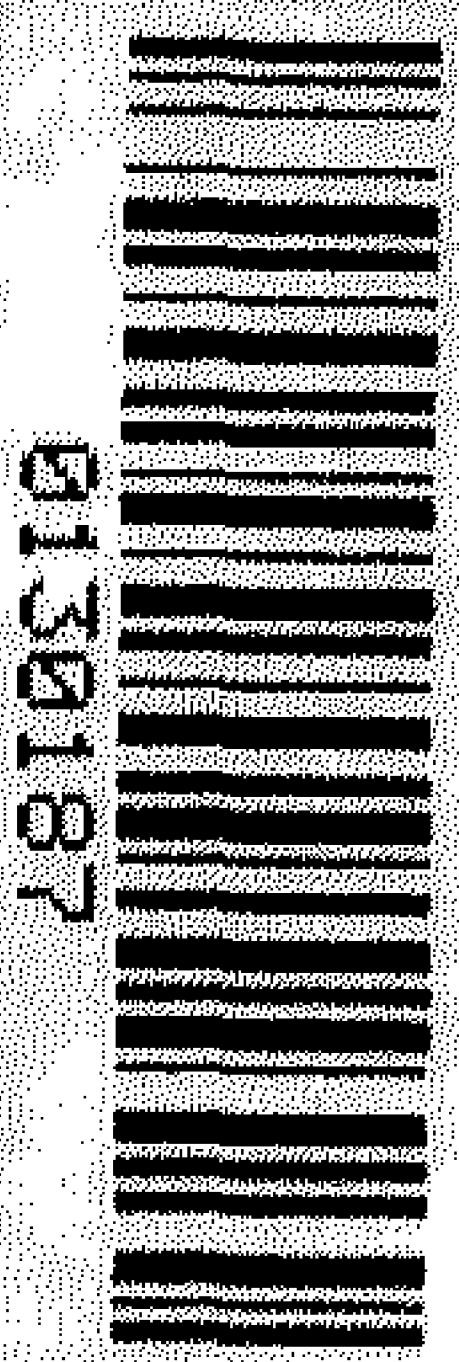


الكتاب الكبير

أبو حذيفة

أبو حذيفة



0130187

Bibliotheca Alexandrina

دار الطباعة والنشر

كتاب قد حوى دررًا بعين الحسن ملحوظة
لهذا قلت تنبيهًا

حقوق الطبع محفوظة
للمناشر

الطبعة الثانية
١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

لدار الصحابة للتراث بطنطا
للنشر والتحقيق والتوزيع
ت : ٣٣١٥٨٧ - ص . ب : ٤٧٧
شارع المديرية - أمام محطة بنزين التعاون

الكتاب

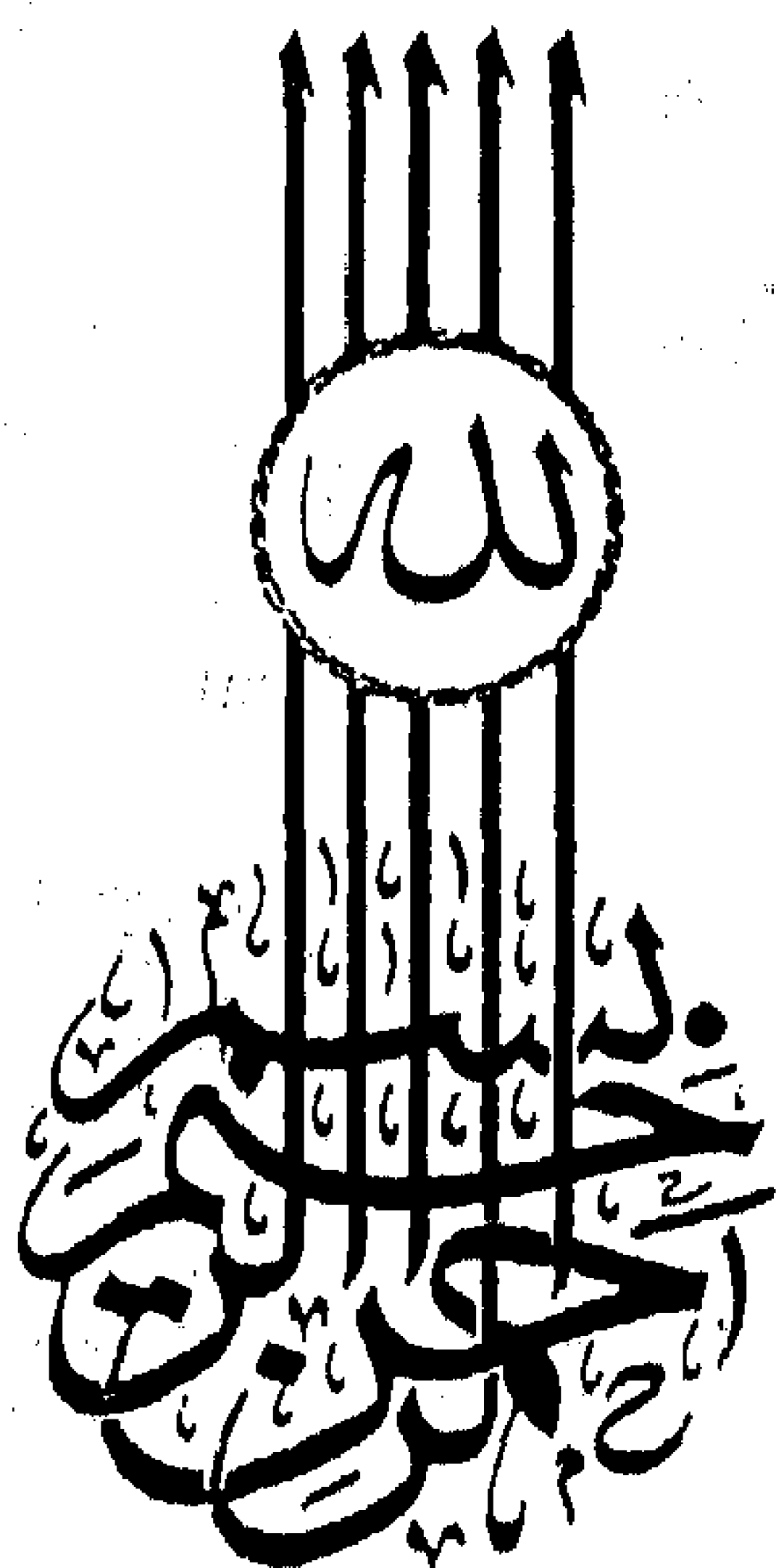
الكتاب - أفانير

General Organization Of the
dria Library (GOAL)

أبو حذيفة

إبراهيم بن محمد

دار الطباعة للتراث



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى

﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾

وقال صلى الله عليه وسلم

« وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاحِرِهِمْ
إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ »

مقدمة: (١)

الحمد لله الذى خلق فسوّى وقدر فهدى فمن جملة خلقه سبحانه اللسان :
فهو المترجم لما حواه القلب ، واللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعته
العجيبة فمع صغر حجمه تعظم طاعته وجرمه إذ لا يستبين الكفر والإيمان
إلا بشهادة اللسان ففي حديث معاذ رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم :

« وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاحِرِهِمْ إِلَّا
خَصَائِلُهُ أَلْسِنَتُهُمْ » (٢) .

فإن اللسان يزرع بقوله الحسنات والسيئات ثم هو يحصد يوم القيامة
ما زرعه في الدنيا إن خيراً فخير وإن شراً فشر .
فما أحرى بالمسلم أن يصون لسانه عما فيه هلكته وينأى بنفسه عن موارد
حتفه حتى وإن لزمه الأمر إلى حبسه وطول سجنه .

(١) كان الاعتماد على طبع هذه الرسالة على ١ - كتاب آفات اللسان لإبراهيم المشوخي . ط الأردن
٢ - كتاب تهذيب موعظة المؤمنين للقاسمي ٣ - كتاب الصمت لابن أبي الدنيا تحقيق د . أحمد عاشور
٤ - كتاب جوامع الآداب للإمام القاسمي ٥ - كتاب البحر الرائق في الزهد والرقائق للأخ أحمد فريد
٦ - كتاب بهجة المجالس وأنس المجالس للإمام ابن عبد البر القرطبي .
(٢) أخرجه أحمد [٢٣١/٥] والترمذي وقال حديث حسن صحيح وابن ماجه والحاكم وقال صحيح
على شرط البخارى ومسلم .

فضل الصمت وحفظ اللسان :

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ »^(٣) .
وعن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى
اللَّهُ عَنْهُ »^(٤) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :
« مَنْ كَفَّ لِسَانَهُ سَتَرَ اللَّهُ عِزَّهُ وَجَلَّ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ مَلَكَ غَضَبَهُ وَقَاهُ اللَّهُ عِزًّا
وَجَلَّ عَذَابَهُ ، وَمَنْ اعْتَدَرَ إِلَى اللَّهِ عِزًّا وَجَلَّ قَبْلَ اللَّهِ عُذْرُهُ »^(٥) .
وعن أم حبيبة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ :
« كَلَامُ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لَا لَهُ إِلَّا الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَذِكْرُ
اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا »^(٦) .

وقال ﷺ :

« طُوبَى لِمَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ وَوَسِعَتْهُ يَتَهُ وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ »^(٧) .
وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه ، أنه كان على الصُّفَا يُلبى ويقول :

(٣) أخرجه البخارى [١٣/٨ - ٣٩] ومسلم [٥٠/١] .

(٤) أخرجه البخارى [١٢٧/٨] .

(٥) قال الحافظ العراقى فى الإحياء [١١٠/٣] أخرجه ابن أبى الدنيا فى الصمت بسند حسن قلت
انظره فى الصمت ص ٤٢ طبعة الاعتصام .

(٦) رواه ابن ماجه [٣٩٧٤] ١٣١٥/٢ .

(٧) ذكره الهيثمى عن ثوبان وقال : رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير وحسن إسناده [٢٩٩/١٠] .

« يَا لِسَانِي قُلْ خَيْرًا نَعْنَم ، أَوْ أَنْصِتْ تُسَلِّمَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنْذِمَ » .
قالوا : يا أبا عبد الرحمن هذا شيء تقوله أو شيء سمعته ؟ قال : لا ، بل
سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إِنَّ أَكْثَرَ حَطَايَا ابْنِ آدَمَ مِنْ لِسَانِهِ »^(٨) .
وقال ابن مسعود أيضا « مَا شَيْءٌ أَحَقُّ بِطُولِ سَجْنٍ مِنَ اللِّسَانِ »^(٩) .

وأخذ الشاعر هذا المعنى فقال :
وَمَا شَيْءٌ إِذَا فَكَّرْتُ فِيهِ أَحَقُّ بِطُولِ سَجْنٍ مِنَ لِسَانٍ
وعن أسود بن أصرم المحاربي رضى الله عنه قال : قلت : أوصني يا رسول
الله ؟ قال : « أَمْلِكْ يَدَكَ » ؟ قال : قلت : فما أملك إذا لم أملك يدي ؟
قال : « أَمْلِكْ لِسَانَكَ » ؟ قال : فما أملك إذا لم أملك لساني ؟ قال :
« فَلَا تَبْسُطْ يَدَكَ إِلَّا إِلَى خَيْرٍ ، وَلَا تَقُلْ بِلِسَانِكَ إِلَّا مَعْرُوفًا »^(١٠) .

قال الأصمعي : قال أعرابي : السكوتُ صيانةٌ للسانٍ وسترٌ للعِي .
وقال أيضا : قال أعرابي : الكلمة أسيرة في وثاق الرجل ، فإذا تكلم بها
كان أسيرا في وثاقها .

وقال أعرابي في رجل رماه بالعي : رأيت عثرات الناس في أرجلهم وعثرات
فلان بين فكَّيه .

وقيل لبكر بن عبد الله المزني : إنك تطيل الصمت ؟ فقال : إن لساني
سبع إن تركته أكلني .

(٨) ذكره الهيثمي في المجمع [٢٩٩/١٠ ، ٣٠٠] وقال « رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح »
وروى بلفظ « واسكت عن شر تسلم » .

(٩) وقال أبو معاوية « أحوج إلى طول سجن من لسان » ذكره الهيثمي في المجمع [٣٠٣/١٠]
وقال « رواه الطبراني بأسانيد ورجاله ثقات » ورواه أبو نعيم في الحلية [١٣٤/١] والصمت لابن
أبي الدنيا (ص ٤٢) .

(١٠) ذكره الهيثمي في المجمع [٣٠٠/١٠] وقال « رواه الطبراني وإسناده حسن » ورواه ابن أبي الدنيا
في الصمت ص ٣٧ .

وَأَنشَدَ الْخُشْنَى :

لِسَانُ الْفَتَى سَبْعٌ عَلَيْهِ مُرَاقِبٌ فَإِنْ لَمْ يَدْعُ مِنْ غَرْبِهِ فَهُوَ آكِلُهُ^(١)

وقال الراجز :

الْقَوْلُ لَا تَمْلِكُهُ إِذَا نَمَا كَالسَّهْمِ لَا يَرْجِعُهُ رَامٍ رَمَا

وَأَنشَدَ ابْنُ الْمُبَارَكِ أَخَاهُ لَهُ كَانَ يَصْحَبُهُ :

وَاعْتَمِمْ رَكْعَتَيْنِ زُلْفَى إِلَى اللَّهِ إِذَا كُنْتَ فَارِغًا مُسْتَرِيحًا

وَإِذَا مَا هَمَمْتَ بِالْمَنْطِقِ الْبَا طِلْ فَاجْعَلْ مَكَانَهُ تَسْبِيحًا

إِنَّ بَعْضَ السُّكُوتِ خَيْرٌ مِنَ النَّطْقِ قِي وَإِنْ كُنْتَ بِالْكَلامِ فَصِيحًا

وكان يقال : العافية عشرة أجزاء ، تسعة منها في الصمت وجزء في الهرب

من الناس .

وقال أبو الدرداء : مِنْ فَقِهِ الرَّجُلِ قِلَّةٌ كَلَامِهِ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ .

وقال مالك بن دينار : لو كانت الصحف من عندنا ، لأقللنا الكلام .

وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : المحظوظ التقى يلجم لسانه وأخذه

الحسن بن هاني فقال :

إِنَّمَا الْعَاقِلُ مَنْ أَلَّ جَمَ فَأَهُ بِلِجَامٍ

مُتَّ بَدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ

وحينما سئل عمر بن عبد العزيز رحمه الله عن قتلة عثمان رضى الله عنه

فقال :

« تِلْكَ دِمَاءٌ كَفَّ اللَّهُ عَنْهَا يَدَى ، فَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ أَغْمِسَ فِيهَا لِسَانِي » .

وقال يزيد بن أبي حبيب : المتكلم ينتظر اللعنة ، والصامت ينتظر الرحمة .

ويقال :

شَرُّ مَا طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْمَرْءُ : خَلَقَ دَنِيٌّ ، وَلِسَانُ بَذِيٌّ .

(١) الغرب : الحده والسفه .

فَعَالِي الْمَوْعِزَاتِ نَبِيْلَةُ السَّنَانَةِ عَبْدَةُ هَذِهِ الْأَفَاتِ

[١] الكذب

[٨] المراء والجدال والمخاصمة

[٢] السخرية والاستهزاء

[٩] الحسد

[٣] الفحش والسب وبذاءة

[١٠] الكلام فيما لا يعنى وفضول

اللسان

الكلام

[٤] الغيبة

[١١] الخوض فى الباطل

[٥] النجيمة

[١٢] اللعن

[٦] إفشاء السرّ

[١٣] المدح

[٧] ذو اللسانين وذو الوجهين

[١٤] التقعر فى الكلام

[١٥] الدقائق اللفظية

فَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَلِيفَةُ السَّانَةِ عَنْ هَذِهِ الْأَفَائِ

- ١ -

الكذب

الكذب هو الإخبار بالشئ على خلاف ما هو عليه ، سواء أعلم ذلك وتعتمد أم لا .

أما العلم والتعمد فإنهما شرطان للإثم وقد ورد أكثر من مائتين وثمانين آية في كتاب الله كلها تنهى عن الكذب وتضرب لنا الأمثلة على النهاية السيئة للمكذبين والكاذبين . ولقد اقترن الكذب بالنفاق والكفر كما اقترن الصدق بالإيمان والتقوى : قال ﷺ :

« عَلَيْكُمْ بِالصُّدْقِ فَإِنَّ الصُّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَالْبِرُّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصُّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَالْفُجُورُ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا » (١١) .
وقال ﷺ محذرا :

« آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أُخْلَفَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ » (١٢) .

(١١) البخارى ٣٠/٨ ، ومسلم ٢٩/٨ وقد ورد بلفظ [آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان] وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا وإن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها ، إذا وعد أخلف وإذا حدث كذب ، وإذا خاصم فجر وإذا عاهد غدر] متفق عليه .

(١٢) البخارى ٢٣٦/٣ وزاد مسلم ٥٦/١ [وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم] .

وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم في الحث على الصدق وأجر ودرجة الصادق أحاديث كثيرة منها :

« التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ »^(١٣) .
وعنه أيضا قال : « ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، قَالَ : فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثَلَاثَ مَرَاتٍ فَقُلْتُ : خَابُوا وَخَسِرُوا ، وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : الْمُسِبِلُ ، وَالْمَنَانُ ، وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتُهُ بِالْخَلِيفِ الْكَاذِبِ »^(١٤) .

وعن أبي أمانة بن ثعلبة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« مَنْ اقْطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : وَإِنْ كَانَ قَضِيًّا مِنْ أَرَاكِ »^(١٥) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
الْكَبَائِرُ : الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَغُفُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَالْيَمِينُ الْغُمُوسُ^(١٦) وسميت غموسًا : لأنها تغمس الحالف بها كذبا في النار .
قال بعض الشعراء :

عود لسانك قول الصدق تحظ به إن اللسان لما عودت معتاد
موكل بتقاضى ما سننت له في الخير والشر فانظر كيف ترتاد
ومما قيل أيضا :

إِذَا عُرِفَ الْكَذَّابُ بِالْكَذِبِ لَمْ يَكُذْ يُصَدِّقُ فِي شَيْءٍ وَإِنْ كَانَ صَادِقًا

(١٣) رواه الترمذى وحسنه .

(١٤) رواه مسلم والأربعة وعند ابن ماجة (المسبل إزاره والمنام عطاؤه) .

(١٥) رواه مسلم [٣٤٢/١] ط الشعب والنسائي وابن ماجة ومالك وكرر الكلام الأخير ومعنى يمينه أى يمين كاذبة ، والآراك [عود السواك] .

(١٦) رواه البخارى والترمذى والنسائي .

وَمِنْ آفَةِ الْكَذَّابِ نِسْيَانُ كَذِبِهِ وَتَلْقَاؤُهُ ذَا حِفْظٍ إِذَا كَانَ حَاضِرًا
وقيل أيضا :

وَمَا شَيْءٌ إِذَا فَكَّرْتُ فِيهِ بِأُذْهَبَ لِلْمُرُوءَةِ وَالْجَمَالِ
مِنَ الْكَذِبِ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ وَأُبْعَدَ بِالْبَهَاءِ مِنَ الرَّجَالِ

وعن الحسن رضى الله عنه قال : تُعَدُّ مِنَ النِّفَاقِ : اخْتِلَافُ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
وَاخْتِلَافُ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ وَالْمُدْخَلِ وَالْمُخْرَجِ وَأَصْلُ النِّفَاقِ وَالَّذِي بَنَى عَلَيْهِ النِّفَاقَ
الْكَذِبُ (١٧) .

وعن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مَنْ حَدَّثَ
بِحَدِيثٍ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَذَّابِينَ » (١٨) .

(١٧) الصمت لابن أبي الدنيا ص ٢٤٥ .

(١٨) رواه مسلم في مقدمته والترمذى [٢٧٩٩] ٤٢٢/٧ ، ٤٢٣٢ وأحمد ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ .

صور من الوفاء بالوعد

قد أثنى الله تعالى على نبيه إسماعيل عليه السلام في كتابه العزيز فقال ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾ .

ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال : « إِنَّهُ كَانَ خُطِبَ إِلَى ابْنَتِي رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَقَدْ كَانَ مِنْنِي إِلَيْهِ شَبَهُ الْوَعْدِ فَوَاللَّهِ لَا أَلْقَى اللَّهَ بِثَلَاثِ الْنِّفَاقِ ، أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ زَوَّجْتُهُ ابْنَتِي » (١٩) .

وعن عبد الله بن أبي الحَمَسَاءِ قال : « بَايَعَتِ النَّبِيَّ ﷺ بَبَيْعٍ قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَ وَبَقِيَتْ لَهُ بَقِيَّةٌ فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتِيَهُ بِهَا فِي مَكَانِهِ ذَلِكَ ، فَنَسِيتُ يَوْمِي وَالْغَدَ ، فَأَتَيْتُهُ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ وَهُوَ فِي مَكَانِهِ فَقَالَ : « يَا فَتَى لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ أَنَا هَاهُنَا مِنْذُ ثَلَاثِ انْتِظَرُكَ » (٢٠) .

وبايعت أى اشتريت ، وبقية : أى شئ من ثمن ذلك البيع وكان انتظاره ﷺ لصديق وعده لا لقبض الثمن (٢١) .

(١٩) ابن أبى الدنيا فى كتابه الصمت ص ٢٣٦ .

(٢٠) رواه أبو داود رقم [٤٩٧٥] ٣٣٩/١٣ ، ٣٤٠ ، والبيهقى ١٩٨/١٠ وابن أبى الدنيا فى الصمت ص ٢٣٦ .

(٢١) د . محمد أحمد عاشور « الصمت » ص ٢٣٦ .

ما رخص فيه من الكذب

اعلم أن الكذب إنما حرم لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره ، وقد يتعلق به مصلحة فيكون مأذونا فيه وربما كان واجبا كما إذا كان في الصدق سفك دم امرئ قد اختفى من ظالم فالكذب في هذه الحالة واجب .

وإذا كان لا يتم مقصود الحرب أو إصلاح ذات البين أو استمالة قلب المجنى عليه أو الإصلاح بين الزوجين إلا بكذب فالكذب هنا مباح بشرط أن يقتصر فيه على حد الضرورة لئلا يتجاوز ما يُستغنى عنه وفي ذلك قال ثوبان : [الكذب كله إثم إلا ما نفع به مسلما أو دفع عنه ضررا] .

وعن حميد بن عبد الرحمن عن أمه أم كلثوم بنت عقبة أنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يرخص لشيء من الكذب إلا في ثلاث كان رسول الله ﷺ يقول لا أعده كذبا : الرجل يصلح بين الناس يقول القول يريد به الصلاح ، والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها» (٢٢) .

فالكذب لا يسمح به إلا في

- الصلح بين الناس - في الحرب وفي الأسر
- الكذب على الزوجة لجلب رضاها والكذب على الزوج لجلب رضاه .

(٢٢) البخارى مختصرا [٢٤٠/٣] ومسلم [٢٨/٨] وأبو داود وابن السنى فى عمل اليوم والليلة .

فَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَلِيقَ الشَّيْءُ

عَنْ هَذِهِ الْآيَاتِ

- ٢ -

السخرية والاستهزاء

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ ، وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ، وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢٣) .

وللسخرية صور متعددة فمنها :

النظر بعين الاحتقار والاستهانة ، أو بالحركات أو بالكلام بإظهار العيوب والنقائص وربما كان هذا الذي نحقره وننظر إليه بعين الازدراء هو عند الله ذو مكانة عالية ففي الحديث :

« رَبِّ أَشَعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَتَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأُبْرَهُ » (٢٤) .

وقد احتقر إبليس اللعين آدم لكونه خلق من طين وهو من نار واستكبر أن يسجد له فكان جزاؤه الخسار الأبدي .

وأيضاً من صورهِ الهمز بالفعل واللمز بالقول ولذلك توعدهم سبحانه بقوله ﴿ وَيَلْ لَّكُلِّ هَمَزَةٍ لُّمَزَةٌ ﴾ (٢٥) .

(٢٣) سورة الحجرات الآية : ١١ .

(٢٤) البخارى والنسائى برقم ٤٧٦٠ .

(٢٥) سورة الهمزة آية ١ .

قال الحافظ ابن حجر : إن من فعل إحدى الثلاث « السخرية - النبز - اللمز » استحق اسم الفسوق وهو غاية النقص بعد أن كان كامل الإيمان ومجمل القول أن الله عز وجل قد نهى المؤمنين أن يسخر أحدهم من أخيه لفقير نزل به أو لذناب ارتكبه وأن لا يتنازوا بالألقاب .

قال ﷺ : « لا يَسْبُ أَحَدُكُمْ أَبَاهُ قَالُوا : وَكَيْفَ يَسْبُ الرَّجُلُ أَبَاهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : يَسْبُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسْبُ أَبَاهُ » (٢٦) .

وقال أيضا ﷺ : « لا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابُرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ » (٢٧) .

وقال : « لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا ، وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابُرُوا ، وَلَا يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ ، وَلَا يَحْقِرُهُ ، التَّقْوَى هَاهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ » (٢٨) .
وقال أيضا :

« بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ اخْتِقَارُهُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَخْتَقِرُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ لِتَكْبَرِهِ عَلَيْهِ ، وَالْكِبَرُ مِنْ أَعْظَمِ خِصَالِ الشَّرِّ » (٢٩) .

فترى هنا رسول الله ﷺ يبيّن عن أن يحتقر المسلم أخاه ويبين أن الاحتقار إنما هو تكبر على الغير فالتكبر ينظر إلى نفسه بعين الكمال وإلى غيره بعين الانتقاص فيحتقرهم ويزدرهم وَرُبَّ هَذَا الْمُخْتَقَرِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ سِوَاهُ .

(٢٦) الترمذی ٣١٢/٤ وقال حسن صحيح .

(٢٧) البخاری ٢٣/٨ ، والترمذی ٣٢٩/٤ .

(٢٨) أخرجه مسلم ١٦/٨ .

(٢٩) جزء من حديث أخرجه مسلم ١٠/٨ - ١١ وأبو داود ١٦٩/٥ .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٣٠) .
ولذلك قال ﷺ :

« لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ » (٣١) .

وقال : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ » (٣٢) .

(٣٠) سورة الحجرات الآية ١٣ .

(٣١) جزء من حديث أخرجه الترمذى ٣٦٠/٤ - ٣٦١ وقال حديث حسن صحيح .

(٣٢) مسلم ١١/٨ وابن ماجه ١٣٨٨/٢ .

فَعَلَى الْمَوْتِ أَنْ يُنْزَلَ لِسَانُهُ

عَنْ هَذَا الْإِفَاتِ

- ٣ -

الفُحْش والسبّ وبذاءة اللسان

السَّبَابُ : مصدر سَبَّ وهو شتم الإنسان والتكلم في عِرْضِهِ بما يعيبه ، وهو أيضاً أن يقول في المسبوب بما فيه وبما ليس فيه ، وقد ورد النهي عن ذلك قال ﷺ « سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ » (٣٣) وقال أيضاً ﷺ « لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالْفُسُوقِ وَلَا يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ ، إِلَّا أَرْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ » (٣٤) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : « لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا وَلَا لَعَانًا وَلَا سَبَابًا ، وَكَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْمَعْتَبَةِ مَالَهُ تَرَبَّ جَبِينُهُ » (٣٥) .

وقال ﷺ : « إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ » قيل يا رسول الله وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ قَالَ : « يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ » (٣٦) .

وقال ﷺ عن اللعانين « لَا يَكُونُ اللَّعَانُونَ شَفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (٣٧) .

(٣٣) البخارى ١٨/٨ ومسلم ٥٧/١ - ٥٨ .

(٣٤) البخارى ١٨/٨ .

(٣٥) البخارى ١٥/٨ .

(٣٦) البخارى ٨/٣ ومسلم ٦٤/١ .

(٣٧) جزء من حديث رواه مسلم ١/٥ .

ووصف ﷺ المسلم وما يجب أن يكون عليه فقال :

« لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا بِاللَّعَّانِ وَلَا بِالْفَاحِشِ وَلَا بِالْبَذِيءِ »^(٣٨) وصَحَّ
أن رجلاً لعن الريح عند رسول الله ﷺ فقال : « لَا تُلْعِنِ الرِّيحَ فَإِنَّهَا
مَأْمُورَةٌ : مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتْ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ »^(٣٩) .

وقد وصف رسول الله ﷺ ذلك البذىء بأنه المفلس يوم القيامة من
الحسنات فقال ﷺ عن المفلس بأنه : « مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ
وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا
وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ
قَبْلَ أَنْ يَقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي
النَّارِ »^(٤٠) .

وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ :
« إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ وَلَا الصِّيَّاحَ فِي الْأَسْوَاقِ »^(٤١) .

وأما الجهر بالسوء :

فإنه يبدأ في أوّل الأمر اتهامات فردية - سباً وقذفاً - وينتهى انحلالاً اجتماعياً
وفوضى أخلاقية تضل فيها تقديرات الناس بعضهم لبعض أفراداً وجماعات
وتنعدم فيها الثقة بين بعض الناس وبعض ، وقد شاعت الاتهامات ولاكتها
الألسنة بلا حرج أ . هـ^(٤٢) .

(٣٨) الترمذى ٣٥٠/٤ ، أحمد ٤٠٥/١ والبخارى فى الأدب المفرد (٣١٢) ٤١٠/١ .

(٣٩) أبو داود ٢١٢/٥ والترمذى ٣٥٠/٤ - ٣٥١ .

(٤٠) مسلم ١٨/٨ ، والترمذى ٦١٣/٤ .

(٤١) البخارى فى الأدب المفرد ٤٠٩/١ .

(٤٢) الظلال : ٥٧٨/٢ .

فَعَلَى الْمَوْفِيقِينَ الْغَيْبَةَ

عَنْ هَذِهِ الْآفَاتِ

— ٤ —

الغيبة (٤٣)

قال الحسن رضى الله عنه : ذكر الغير ثلاثة : الغيبة ، والبهتان ، والإفك ، وكل في كتاب الله عز وجل .

فالغيبة : أن تقول ما فيه .

والبهتان : أن تقول ما ليس فيه .

والإفك : أن تقول ما بلغك عنه .

وقال : إن الغيبة لا تقتصر على اللسان فالتعريض به كالتصريح والفعل فيه كالقول ، والإشارة والإيماء والغمز واللّمز والكتابة والحركة وكل ما يفهم به المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام .

قال ﷺ « أَتَذَرُونَ مَا الْغَيْبَةُ » ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ! قَالَ : « ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ » قِيلَ : أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ ؟ قَالَ ﷺ : « إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبَتْهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَّتْهُ » (٤٤) .

قال تعالى محذراً ومشبهاً المغتاب بقوله عز وجل ﴿ أَيَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ (٤٥) ومحذراً أيضاً من الكلام في غير منفعة وبدون

(٤٣) بحمد الله وتوفيقه تم طبع كتاب الغيبة للإمام ابن تيمية ومعه رسالة رفع الرية عما يجوز وما لا يجوز من الغيبة للإمام الشوكاني بتحقيق محمود إمام ط . مكتبة الصحابة - طنطا .

(٤٤) مسلم ٢١/٨ ، والترمذى ٣٢٩/٤ .

(٤٥) الحجرات : ١٢ .

ذكر الله فقال تعالى ﴿... مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^(٤٦)
وقال : ﴿وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ ، يَعْلَمُونَ
مَا تَفْعَلُونَ ...﴾^(٤٧) .

وقال ﷺ « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا يَظُنُّ
أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَإِنَّ
الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ
يَكْتُبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا عَلَيْهِ سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ »^(٤٨) .

ومن أَشْمَلِ ما قيل عن تنزيه اللسان « قال عَوْفٌ : دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ سِيرِينَ
فَتَنَاوَلْتُ عِنْدَهُ الْحَجَّاجَ فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ حَكَمَ عَدْلٌ يَنْتَقِمُ لِلْحَجَّاجِ مِمَّنْ اغْتَابَهُ
كَمْ يَنْتَقِمُ مِنَ الْحَجَّاجِ لِمَنْ ظَلَمَهُ وَإِنَّكَ إِذَا لَقِيتَ اللَّهَ تَعَالَى غَدًا كَانَ أَصْغَرُ ذَنْبٍ
أُصِيبَتْهُ أَشَدُّ عَلَيْكَ مِنْ أَعْظَمِ ذَنْبٍ أَصَابَهُ الْحَجَّاجُ »^(٤٩) .

ومجمل القول في الغيبة : أنها من الكبائر وأن فيها العذابَ وأشدَّ النكال ،
فقد صحَّ فيها أنها أُرْبَى الرِّبَا ، وأنها لو مزجت بماء البحرِ أَنتَنَتْهُ وَغَيَّرَتْ رِيحَهُ ،
وأن أهلها يأكلون الجِيفَ في النَّارِ ، وأنَّ لهم رائحةً منتنة فيها ، وأنهم يُعَذَّبُونَ
في قبورهم .

ولذلك حذَّرَ رسولُ الله ﷺ من الغيبة كي يَبْقَى لسانُ المسلم مُنَزَّهًا طَاهِرًا
من آثامِ الغيبة فقال « كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَعَرَضُهُ
وَمَالُهُ »^(٥٠) .

(٤٦) سورة ق : ١٨ .

(٤٧) سورة الانفطار : ١٠ .

(٤٨) البخارى مع اختلاف في اللفظ ١٢٥/٨ ، والترمذى ٥٥٩/٤ وأحمد ٤٦٩/٣ .

(٤٩) إحياء علوم الدين ١٥٣/٣ .

(٥٠) رواه مسلم مطوَّلًا ١٠/٨ ، ١١ - وأبو داود (٤٨٦١) ٢٢٦/١٣ - والترمذى رقم (١٩٩٢)

. ٥٥ ، ٥٤/٦

والعِرض بكسر العين المهملة وسكون الراء . موضع المدح والذم في الإنسان وأعظم الغيبة : أن يُقصَد بها ذم الغير ومدح النفس كأن تقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بما أُبتلى به فلان أو نعوذ بالله من قلة الحياء . واعلم أن المستمع للغيبة شريك فيها ولا يتخلص من إثمها إلا أن ينكر بلسانه ، أو بقلبه وذلك أضعف الإيمان .

عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (٥١) .

وروى عن الحسن أن رجلاً قال له إن فلاناً قد اغتابك فبعث إليه رطباً على طبق وقال : قد بلغني أنك أهديت إلي من حسناتك فأردت أن أكافئك عليها فاعذرنى فإنى لا أقدر أن أكافئك على التمام .

ينبغي للعبد أن يتدبر في نفسه وعيوبها . إذا عرضت له الغيبة . ويشغل بإصلاحها ويستحي أن يعيب وهو مُعيب . كما قال بعضهم :

فَإِنْ عِبتَ قَوْمًا بِالَّذِي فِيكَ مِثْلُهُ فَكَيْفَ يَعِيبُ النَّاسَ مَنْ هُوَ أَغْوَرُ
وَإِنْ عِبتَ قَوْمًا بِالَّذِي لَيْسَ فِيهِمْ فَذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ أَكْبَرُ

وقال آخر :

إِذَا رُمْتَ أَنْ تُحْيَا سَلِيمًا مِنَ الْأَذَى وَدِينُكَ مَوْفُورٌ وَعِرْضُكَ صَيَّنٌ
فَلَا يَنْطِقُ مِنْكَ اللِّسَانُ بِسُوءَةٍ فَكُلُّكَ سُوءَاتٍ وَلِلنَّاسِ أَلْسُنُ
وَعَيْنَاكَ إِنْ أَبَدْتَ إِلَيْكَ مَعَايَا فَقُلْ يَا عَيْنُ لِلنَّاسِ أَغْيُنُ

« بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن الغيبة »

اعلم أن مساوىء الأخلاق كلها إنما تعالج بمعجون العلم والعمل . وعلاج كف اللسان عن الغيبة إجمالاً أن يعلم أنه يتعرض لسخط الله تعالى إذا اغتاب

(٥١) رواه الترمذى وقال حديث حسن .

لارتكابه ما نهى الله عنه ، وينفعه أيضا أن يتدبر في نفسه فإن وجد فيها عيبا
اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله ﷺ « طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ
النَّاسِ » ومهما وجد عيبا فينبغي أن يستحي من أن يترك ذم نفسه ويذم غيره ،
وإن كان أمرا خَلْقِيًّا فالذم له ذم للخالق فإن ذم صنعة فقد ذم صانعها وإذا
لم يجد العبد عيبا في نفسه فليشكر الله تعالى ولا يلوثن نفسه بأعظم العيوب ،
وينفعه أيضا أن يعلم أن تألم غيره بغيبته كتألمه بغيبة غيره له ، فإذا كان
لا يرضى لنفسه أن يُغتَاب فينبغي أن لا يرضى لغيره مالا يرضاه لنفسه .
وبالجملة : فمن قوى إيمانه صان عن الغيبة لسانه .

فَعَلَى الْمَوْتِ أُنْتَبِهُوا لِلنَّارِ

عَذَابِهَا أَفْأَنْتُمْ

- ٥ -

النِّمَّة

النَّمَامُ : هو ناقل الحديث مِنْ قَوْمٍ إِلَى قَوْمٍ عَلَى جِهَةِ الْإِفْسَادِ وَالشَّرِّ سِوَاءٍ كَانَ بَعْلَمِهِ أَمْ يَغَيِّرُ عِلْمِهِ .
أما الغيبة ذَكَرَهُ فِي غَيْبَتِهِ بِمَا لَا يُرْضِيهِ .

قال تعالى فِي صِفَةِ النَّمَامِ ﴿ وَلَا تُطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَاءٍ بَنِيمٍ * مَنَّاغٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾^(٥٢) فهو كثيرُ الْحَلْفِ لِعِلْمِهِ بِكَذِبِهِ وَكَذَلِكَ فَهُوَ مَهِينٌ : لَا يَحْتَرُمُ نَفْسَهُ عَكْسَ الْعِزَّةِ ، هَمَّازٌ : يَعِيبُ النَّاسَ بِالْقَوْلِ وَالْإِشَارَةِ .

وهو مَشَاءٌ بَنِيمٍ : يَمْشِي بَيْنَ النَّاسِ بِمَا يُفْسِدُ قُلُوبَهُمْ وَيَقْطَعُ صَلَاتَهُمْ وَمُودَتَهُمْ .

ولقد كَانَ ﷺ يَنْهَى أَنْ يُنْقَلَ إِلَيْهِ أَى حَدِيثٍ فَقَالَ : « لَا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ أُخْرَجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ »^(٥٣) .

وأيضاً نَهَى عَنِ النِّمَةِ وَذَمَّ فَاعِلَهَا فَقَالَ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ »^(٥٤) .
وقال على اثنين يعذبان في القبر « إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ أَمَّا

(٥٢) سورة القلم الآية : ١٠ - ١٢ .

(٥٣) أبو داود ١٨٣/٥ ، والترمذى ٧١٠/٥ .

(٥٤) رواه مسلم ٧٠/١ ، ٧١ ، وأحمد ٣٩٦/٥ .

أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَأَن يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَأَن لَا يَسْتَنْزِعُهُ مِنْ بَوْلِهِ» (٥٥).

وقال الحسن رضى الله عنه : مَنْ نَمَّ إِلَيْكَ نَمَّ عَلَيْكَ .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : أَلَا أُبَيِّتُكُمْ مَا الْعِضَةُ هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ . (٥٦)

وعن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ فِتَّانٌ » (٥٧) قال الأعمش : الفِتَّانُ هُوَ النَّمَامُ وَحَقِيقَةُ النَّمِيمَةِ : إِفْشَاءُ السِّرِّ وَهَتِكُ السِّرِّ عَمَّا يَكْرَهُ كَشْفُهُ وَمَنْ هَتَكَ حَرَمَةَ أَخِيهِ هَتَكَ اللَّهَ حَرَمَتَهُ . كما قال الشافعى :

يَا هَاتِكَا حُرْمَ الرِّجَالِ وَقَاطِعَا سَبْلَ الْمَوَدَّةِ عِشْتَ غَيْرَ مُكْرَمٍ
لَوْ كُنْتَ حُرًّا مِنْ سُلَالَةٍ مَاجِدٍ مَا كُنْتَ هَتَّاكَ لِحُرْمَةِ مُسْلِمٍ
مَنْ يَزْنِ يُزْنِ بِهِ وَلَوْ بِجِدَارِهِ إِنْ كُنْتَ يَا هَذَا لَبَيًّا فَافْهَمِ
ومن نقلت إليه النميمة عليه ستة أمور : (٥٨)

١ - أن لا يصدق النمام لأن النمام فاسق قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ ﴾ (٥٩) .

٢ - يبغيضه فى الله فإنه يبغيض عند الله .

(٥٥) متفق عليه .

(٥٦) رواه مسلم .

(٥٧) رواه البخارى ٢١/٨ وأبو داود رقم (٤٨٥٠) ٢١٩/١٣ ، الترمذى رقم (٢٠٩٠) ١٧٢/٦ وأحمد ٥/٣٩١ ، ٣٩٩ ، ٤٠٦ .

(٥٨) البحر الرائق : ص ٦٢ .

(٥٩) البحر الرائق ص ٦٢ .

٣ - لا تظن بأخيك الغائب سوءًا لقوله تعالى : ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (٦٠) .

٤ - ينهاه عن ذلك وينصح له ويقبح عليه فعله .

٥ - لا يملك ما حكى لك على التجسس والبحث لتحقيق منه لقوله تعالى ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ (٦١) .

٦ - لا ترضَ لنفسك ما نهيت النمام عنه ولا تحكى نميمته فتكون نمامًا ومغتتابًا .
فليتنق الله ذور الألسنة الحداد ولا ينطقوا إلا بما فيه الخير لخلق الله ويكفيهم
في هذا قول النبي ﷺ « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ
لِيَصْمُتْ » (٦٢) .

(٦٠) سورة الحجرات الآية : ١٢ .

(٦١) سورة الحجرات الآية : ١٢ .

(٦٢) متفق عليه .

فَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْتِزِعَ لِسَانُهُ عَنْ هَذِهِ الْأَفَاتِ

- ٦ -

إفشاء السر (٦٣)

المؤمن الصادق يَتَهَيَّبُ الكلام بغير ذِكْرِ الله تعالى وَيَجْعَلُ لسانه من وراء قلبه فإن كانت الكلمة فيها إرضاء الله أمضاها على لسانه وإن كانت غير ذلك استغفر الله وتاب إليه لعلمه أنها تَهْوِي به في نار جهنم .

وليس أدل على حِفْظِ السِّرِّ وكتمانه في الحياة العامة والخاصة من قوله ﷺ في كيفية وثواب إخفاء الصدقة وأن يُعْطَى الإنسان بيمينه ما لا تَعْلَمُ شماله ففي حديث أبي هريرة في السبعة الذين يُظِلُّهم الله في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ منهم « وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ » (٦٤) .

ومن أدب النبوة في البيوت « إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضَى إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ أَحَدُهُمَا سِرَّ صَاحِبِهِ » (٦٥) .

وحتى في الحروب فكان ﷺ لا يَقْصِدُ مكانًا إلا ورَّى بغيره لكي لا تُكْشَفَ الخطة .

وقد ورد عن عمر بن عبد العزيز قوله : القلوب أوعية الأسرار والشفاه

(٦٣) قد تعرضت بحمد الله في رسالة « أدب الكتمان وحفظ السر » لهذا الموضوع بشيء من التفصيل .

(٦٤) متفق عليه .

(٦٥) رواه مسلم ١٥٧/٤ - وأبو داود في رواية (إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة ...) .

أَقْفَالُهَا وَالْأَلْسُنَ مَفَاتِيحُهَا فَلِيَحْفَظْ كُلُّ أَمْرِيءٍ مِفْتَاحَ سِرِّهِ . (٦٦)

ومما قيل عن حفظ السر رجل يوصي زوجته :

لِكُلِّ أَمْرِيءٍ يَا أُمَّ عَمْرٍ طَبِيعَةٌ وَتَفْضِيلُ مَا يَتَيْنِ الرِّجَالُ الطَّبَائِعُ
فَلَا يَسْمَعَنَّ سِرِّي وَسِرِّكَ ثَالِثٌ أَلَا كُلُّ سِرٍّ جَاوِزٌ اثْنَيْنِ ضَائِعُ
وَكَيْفَ يُشِيعُ الْقَلْبُ سِرًّا وَفَوْقَهُ حِجَابٌ وَمَا فَوْقَ الْحِجَابِ إِلَّا ضَالِعُ

وأفضل ما قيل عن حفظ السر :

وَمُسْتَوْدَعِي سِرًّا تَبَوَّاثُ كَتَمِهِ فَأَوْدَعْتُهُ صَدْرِي فَصَارَ لَهُ قَبْرًا
وأفضل منه :

وَمَا السِّرُّ فِي صَدْرِي كَثَاوٍ بِقَبْرِهِ لِأَنِّي أَرَى الْمَقْبُورَ يَنْتَظِرُ النَّشْرَا
وَلَكِنِّي أَلْسَاءٌ حَتَّى كَأَنَّنِي بَمَا كَانَ مِنْهُ لَمْ أَحِطْ سَاعَةً خَبْرَا
وَلَوْ جَازَ كَتَمُ السِّرِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فِي السِّرِّ وَالْأَحْشَاءِ لَمْ تَعْلَمِ السَّرَّا

(٦٥) رواه مسلم ١٥٧/٤ - وأبو داود في رواية (إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة .

(٦٦) أدب الدنيا والدين ص ٢٨٠ .

فَعَلَى الْمَوْفِقِ ابْتِزَازُ لِسَانِهِ عَنْ هَذِهِ الْآفَاتِ

- ٧ -

ذو اللسانين وذو الوجهين

قال تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾^(٦٧) .
وقال ﷺ محذراً « إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهِهِ وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهِهِ »^(٦٨) .

والمعنى أن المذاهن المتملق باعث على الفتن وناشر الدسائس بين المتصافين أو المتخاصمين وهو أكثر عداوة لله تعالى ويحسب من شرار الناس ، وأنه وضع ماكر مهين لئيم خبيث طباعه وانحطت أخلاقه ولا وازع يردعه ولا ضمير يزرجه ولا خوف من الله تعالى يؤنبه .

وقال ﷺ « شَرُّ عِبَادِ اللَّهِ الْمَشَاوُونَ بِالنَّمِيمَةِ الْمُفَرَّقُونَ بَيْنَ الْأَحْبَةِ »^(٦٩) .
ولكن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ولذلك قيل :
جِرَاحَاتُ السِّنَانِ هَا الشِّتَامُ وَلَا يَلْتَأَمُ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ
وعن عمار بن ياسر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ .
« مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا كَانَ لَهُ لِسَانَانِ مِنْ نَارِ يَوْمٍ »

(٦٧) سورة البقرة الآية : ٢٠٤ .

(٦٨) البخارى ٢١/٨ ، ومسلم ٢٧/٨ .

(٦٩) جزء من حديث أخرجه أحمد ٢٢٧/٤ ، ٤٥٩/٧ .

القيامة» (٧٠) .

وعن عريب الهمداني ، قال : قلت لابن عمر رضي الله عنه :
« إِنَّا إِذَا دَخَلْنَا عَلَى الْأُمَرَاءِ زَكَّيْنَاهُمْ بِمَا لَيْسَ فِيهِمْ فَإِذَا خَرَجْنَا دَعَوْنَا عَلَيْهِمْ ؟ قَالَ كُنَّا نَعُدُّ ذَلِكَ النِّفَاقَ » (٧١) .

وفي رواية « كنا نعدُّ ذلك على عهد رسول الله ﷺ النفاق » .

(٧٠) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٣١٠) ٦٨٨/٢ وفيه زيادة نصها : فمر رجل كان ضخمًا قال هذا منهم » رواه أبو داود [٤٨٥٢] ٢٢٠/١٣ ، والدرامي ٣١٤/٢ .
(٧١) رواه البخاري ٨٩/٩ ، وابن ماجه (٣٩٧٢) ، ١٣١٥ ، والطيالسي [٢٦٢١] ١٦٧/٢ وأحمد ١٠٦٦٩/٢ .

فَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَنْزِلَ لِنَبَاتِهِ عَنْ هَذِهِ الْأَفَاتِ

- ٨ -

المراء والجدال والمخاصمة

قال تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (٧٢) .
وقال ﷺ « أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدُّ الْخَصِمُ » (٧٣) أى كثيرُ
الْخُصُومَةِ وَاللَّدُّ هُوَ شِدَّةُ الْخُصُومَةِ وَهُوَ الْأَعْوَجَا جُ وَالْإِثْرَافُ عَنِ الْحَقِّ .
وَالْمِرَاءُ : هُوَ الطَّعْنُ فِي كَلَامِ الْغَيْرِ لِإِظْهَارِ نَحْلٍ فِيهِ لِغَيْرِ غَرَضٍ سِوَى
تَحْقِيرِ قَائِلِهِ وَإِظْهَارِ مَرْتَبَتِهِ عَلَيْهِ .
ولذلك قال ﷺ « لَا يَسْتَكْمِلُ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَدْعَ الْمِرَاءَ وَإِنْ
كَانَ مُحِقًّا » .

والجدال : وهو عبارة عن قصد إفحام للغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدرح في
كلامه ونسبته إلى التهور والجهل فيه .

والتحريش (المخاصمة) : قال ﷺ « ثَلَاثَةٌ لَا تُرْفَعُ صَلَاتُهُمْ فَوْقَ
رُؤُوسِهِمْ شَبْرًا رَجُلٌ أُمَّ قَوْمًا وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ ، وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا
سَاخِطٌ ، وَأَخَوَانِ مُتَصَارِمَانِ » (٧٤) .

(٧٢) سورة البقرة الآية : ٢٠٤ .

(٧٣) مسلم ٥٧/٨ ، البخارى ٩١/٩ .

(٧٤) ابن ماجه ٣١١/١ .

ومن وصايا أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه « لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث : لا تتعلمه لتمارى ، ولا لتباهى ، ولا لتراى ، ولا تتركه حياء من طلبه ، ولا زهادة فيه ، ولا رضا بالجهل منه »^(٧٥) .

وقال ﷺ : « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ حَصَلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ حَصَلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ »^(٧٦) .

قال ﷺ « لَا ثَمَارَ أَحَاكَ وَلَا ثَمَارَ حُهُ وَلَا ثَمَارَ مَوْعِدًا فَتُخْلَفُ »^(٧٧) .

وقال بلال بن سعد (إذا رأيت الرجل لحوحًا مماريًا معجبًا برأيه فقد تمت خسارته) .

وقال « ابن أبى ليلى » لا أمارى صاحبى فإمّا أن أكذبه وإما أن أغضبه .

(٧٥) إحياء علوم الدين ١١٧/٣ .

(٧٦) البخارى ٣٠/٨ ، ومسلم ٥٦/١ .

(٧٧) رواه الترمذى رقم [٢٠٦٣] ١٣٠/٦ ، ١٣١ .

فَعَلَى الْمَوْتِ أَنْ يُزِيلَ لِسَانَهُ عَنْ هَذِهِ الْأَفَاتِ

- ٩ -

الحسد

كل العدوات قد ترجى إِمَاتَتِهَا إِلَّا عداوة من عاداك من حسد
اعلم أن الحسد من نتائج الحقد الذميمة وللحسد من الفروع الذميمة
ما لا يكاد يحصى وقد ورد في أخبار كثيرة منها قوله ﷺ « الْحَسَدُ يَأْكُلُ
الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ » (٧٨).

وقوله : « لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا تَدَابُرُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ
بَعْضًا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا » (٧٩).

ومن الآثار قول بعض السلف « إن أول خطيئة كانت هي الحسد ، حسد
إبليس آدم عليه السلام على رتبته فأبى أن يسجد له فحمله الحسد على
المعصية ».

والحسد نوعان : أحدهما : كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه ،
وثانيهما : عدم محبة زوالها وتمنى مثلها وهذا يسمى غبطة .

فالأول حرام بكل حال إلا نعمة أصابها فاجر وهو يستعين بها على محرم
كإفساد وإيذاء فلا يضرّ محبة زوالها عنه من حيث هي آلة الفساد .

(٧٨) جزء من حديث أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة وابن ماجه من حديث أنس .

(٧٩) رواه البخارى مطبولا ٢٣/٨ ، ٢٥ ، ٢٦ ومسلم ٩/٨ وأبو داود [٤٨٨٩] ٢٥٥/١٣
والترمذى [٢٠٠٠] ٦٤/٦ ، ٦٥ .

ويدل على تحريم الحسد الأخبار السابقة وإن كراهة زوال النعمة إنما هي تَسَخُّطٌ لقضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة وأى معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك منه مضرة ؟

وإلى هذا أشار القرآن بقوله : ﴿ إِنْ تَمَسَسْنَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوءُهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾ . (٨٠) .

وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة يتلازمان .

ومن أسباب الحسد : العداوة والبغضاء وهذا أشد أسباب الحسد ومنها التعزز وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره . ومنها حب الرياسة وطلب الجاه . ومنها خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله .

والحسد من أمراض القلوب العظيمة ولا دواء لها إلا بالعلم والعمل .

والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف تحقيقاً أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وأنه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به فيهما لأنك سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التى قسّمها بين عباده وعدله الذى أقامه فى مُلكه بخفى حكيمته فاستنكرت ذلك واستبشعته وشاركت إبليس والكفار فى محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم .

(٨٠) آل عمران آية ١٢٠ .

فَعَالِي الْمَوْفِرَاتِ نَبِيْرًا لِّسَانِهِ عَنْ هَذِهِ الْأَفَاتِ

- ١٠ -

الكلام فيما لا يعنى وكذلك فضول الكلام

اعلم أن رأس مال العبد أوقاته ، فإن صرفها فيما لا يعنيه ولم يدخر به ثواباً في الآخرة فقد ضيع رأس ماله ، ولهذا قال النبي ﷺ « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ »^(٨١) وسببه الباعث عليه هو الحرص عليه هو الحرص على معرفة ما لا حاجة به إليه أو تمضية الأوقات بحكايات أحوال لا فائدة فيها . وعلاج ذلك كله أن يعلم أن أنفاسه رأس ماله وأن لسانه شبكة يقدر أن يقتنص بها الخيرات الحسان ، فإهماله ذلك وتضييعه خسران مبین وكذلك الخوض فيما لا يعنى ، والزيادة فيما يعنى على قدر الحاجة قال تعالى ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾^(٨٢) .

وقال ﷺ « طُوبَى لِمَنْ أَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ وَأَلْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ » .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : أُذِرْكُمْ فَضُولَ الْكَلَامِ .
وعن عطاء^(٨٣) . فضول الكلام ما عدا تلاوة القرآن ، والقول بالسنة عند الحاجة ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن تنطق في أمر لا بد لك منه

(٨١) رواه الترمذى رقم (٢٤٢) ٦/٦٠٩ وقال غريب ، وأحمد ١/٢٠١ .

(٨٢) سورة النساء آية ١١٤ .

(٨٣) بهجة المجالس [٧٨/١] .

فى معيشتك ، أما يستحي أحدكم أن لو نُشِرت عليه صحيفته التى أملاها صدر
نهاره أن يرى أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه ثم تلا ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ
لَحَافِظِينَ ، كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾^(٨٤) ، ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ
مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾^(٨٥) .

وقال أبو هريرة : لا خير فى فضول الكلام .
وقالوا : أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، وما ظهر معناه فى
لفظه .

وكان يقال : أفضل الكلام ما قلت ألفاظه وكثرت معانيه أخذ هذا المعنى
أحمد ابن إسماعيل الكاتب فقال :

خَيْرُ الْكَلَامِ قَلِيلٌ عَلَى كَثِيرٍ دَلِيلٌ
وَالْعَمَى مَعْنَى قَصِيرٌ يَخْوِيهِ لَفْظٌ طَوِيلٌ

(٨٤) سورة الانفطار الآيتان : ١٠ ، ١١ .

(٨٥) سورة (ق) الآيتان : ١٧ ، ١٨ .

فَعَلَى الْمَوْتِ أَنْ يُنْزِلَ لِلنَّاسِ عَبْرَ هَذِهِ الْأَفَاتِ

- ١١ -

الخوض في الباطل

وهو الكلام في المعاصي كحكاية أحوال النساء ومجالس الخمر والألعاب الرياضية ككرة القدم وما شابهها ومقامات الفساق وتكبر الجبابة وأحوالهم المكروهة فإن ذلك مما لا يحل الخوض فيه .

وأكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه بأعراض الناس أو الخوض في الباطل ، وأنواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتفنها فلذلك لا مخلص منها إلا بالاعتصار على ما يعنى من مهمات الدين والدنيا وفي الحديث « أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضًا في الباطل » وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾ وبقوله تعالى ﴿ فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ ﴾ .

عن بلال بن حارث المزني رضى الله عنه عن النبي ﷺ « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ ، يَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » (٨٦) .

(٨٦) رواه مالك : ٦٠٩ ، ٦١٠ ، والبخارى [١٢٥/٨] والترمذى [٢٤٢١] ٢٦٠٩/٦ ، وابن ماجه [٣٦٦] : ١٣١٢/٢ ، ١٣١٣ .

وكان الربيع بن خثيم يقول لا خير في الكلام إلا في تسع : « تهليل ،
وتسبيح ، وسؤالك من الخير ، وتعوذك من الشر ، وأمرك بالمعروف ، ونهيك
عن المنكر ، وقراءتك للقرآن »^(٨٧) .

(٨٧) أبو نعيم في الحلية ١٢٩/٢ وابن أبي الدنيا الصمت ص ٦٥ .

فَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَلِيقَ اللَّعْنَةُ

عَنْ هَذِهِ الْآفَاتِ

- ١٢ -

اللَّعْنُ

اللعن إما لحيوان أو جماد أو إنسان وكل ذلك مذموم ، قال رسول الله ﷺ : « لا يكون المؤمن لعناً »^(٨٨) واللعن عبارة عن الطرد والإبعاد عن الله تعالى وذلك غير جائز إلا على مَنْ اتَّصَف بصفة تبعده عن الله عز وجل وهو الكفر والظلم ، وفي لعن فاسق معين حظر فليتجنب ولو بعد موته ، بل قد يكون أشد إن كان فيه أذى للحي وفي الحديث « لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَتُؤْذُوا بِهِ الْأَحْيَاءَ » ويقرب من اللعن الدعاء على الإنسان بالشر ، حتى الدعاء على الظالم مذموم ، وفي الخبر « إن المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافئه » وأيضاً لعدم تعود اللسان على اللعن فقد نهى عنه الشرع .

عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال : بينما رسول الله ﷺ ، على ناقة في بعض أسفاره ، وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت ، فلعتها ، فسمع النبي ﷺ ذلك ، فقال « تَحَدُّوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُّوها فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ » قال عمران فكأنى أراها الآن تمشى في الناس ، ما يعرض لها أحد^(٨٩) .

وعن أبي الدرداء رضى الله عنه : أن النبي ﷺ قال : إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُهَدَاءَ وَلَا شَفَعَاءَ^(٩٠) .

(٨٨) رواه الترمذى . حديث [٢٠٨٨] : ١٦٢/٦ ، ١٦٣ .

(٨٩) رواه مسلم ٢٣/٨ ، وأحمد ٤٢٩/٤ ، ٤٣١ ، وأبو داود (٢٥٤٤) ٢٣٠/٧ والدارمى ٢٨٨/٢ .

(٩٠) رواه مسلم ٢٤/٨ ، وأبو داود حديث (٤٨٨٦) ٢٥١/١٣ ، وقال الدكتور محمد أحمد عاشور في تعليقه على كتاب الصمت لابن أبى الدنيا ص ٢٠٢ وشهداء : أى شهداء على الأمم بتبليغ رسلهم إليهم الرسالات ، وشفعاء : أى لا يشفعون يوم القيامة حين يشفع المؤمنون في إخوانهم الذين استوجبوا النار .

فَعَلَى الْمَوْلَى مِنْ آيَاتِ لَيْسَانِهِ عَنْ هَذِهِ الْآفَاتِ

- ١٣ -

المدح

وهو منهى عنه فى بعض المواضع ، أما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمها ، والمدح يدخله ست آفات : أربع فى المادح ، واثنان فى الممدوح . فأما المادح :

- ... الأولى : أنه قد يُقرطُ فيه فينتهى به إلى الكذب .
- ... الثانية : أنه قد يدخله الرياء فإنه بالمدح مُظهر للحب وقد يكون مُضمراً له ولا معتقداً لجميع ما يقوله فيصير به مرآئياً منافقاً .
- ... الثالثة : أنه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه .
- ... الرابعة : أنه قد يُفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز ، قال الحسن « من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصى الله فى الأرض » .

وأما الممدوح فيضره من وجهين :

- الأولى : يحدث فيه كبراً وإعجاباً وهما مهلكان .
- الثانية : هو أنه إذا أثنى عليه فرح وفتروضى عن نفسه وقلّ تشميره للعمل فإن سلم المدح من هذه الآفات فى حق المادح والممدوح لم يكن به بأس بل ربما كان مندوباً إليه .

وعلى الممدوح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعُجب وآفة الفتور ويتذكر أنه يعلم من نفسه ما لا يعلمه المادح ، وأنه لو انكشف له جميع أسرار

ما يجرى على خواطره لكف المادح عن مدحه ، وكان (على) رضى الله عنه إذا أثنى عليه يقول « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ ، وَلَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ ، واجْعَلْنِي خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ » وعلى المادح أن لا يجزم القول إلا بعد خبره باطنه سمع (عمر) رضى الله عنه رجلاً يثنى على رجل فقال : « أسافرت معه ، ؟ قال : لا ، قال : أخالطته في المبايعة والمعاملة ، ؟ قال : لا ، قال : فأنت جاره صباحه ومساءه ؟ قال : لا : فقال : والله الذى لا إله إلا هو لا أراك تعرفه » .

وفى الحديث : « إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ لَا بُدَّ مَادِحًا أَخَاهُ فَلْيَقُلْ : أَحْسَبُ فَلَانًا وَلَا أَرْكِي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا » (٩١) .

وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، رجلاً يثنى على رجل ، فقال : أسافرت معه ؟ فقال : لا ، قال : أخالطته ؟ قال : لا ، قال : والله الذى لا إله إلا هو ما تعرفه (٩٢) .

وقالت عائشة رضى الله عنها : يَتَوَضَّأُ أَحَدُكُمْ مِنَ الطَّعَامِ الطَّيِّبِ ، وَلَا يَتَوَضَّأُ مِنَ الْكَلِمَةِ الْحَبِيثَةِ يَقُولُهَا !! (٩٣) .

(٩١) رواه البخارى ١٢٩٣ ، مسلم ٣٠٠٠ ، وأحمد فى مسنده ٤٦/٥ ، ٤٧ ، من حديث أبى بكره الثقفى وفيه أن رجلاً مدح آخر عند النبى ﷺ فقال له « ويحك قطعت عنق صاحبك » .
(٩٢) « الصمت » لابن أبى الدنيا ص ٢٧٩ .
(٩٣) ابن أبى الدنيا « الصمت » ص ٢٨٣ .

فَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَلِيقَ لِسَانُهُ عَبْرَ هَذِهِ الْآفَاتِ

- ١٤ -

التقعر

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال « أَلَا هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ » ثَلَاثَ مَرَّاتٍ^(٩٤) وَالْمُتَنَطِّعُونَ : الضَّالُّونَ الْمُجَاوِزُونَ الْحُدُودَ فِي أَقْوَاهُمْ وَأَفْعَالِهِمُ الدَّاخِلُونَ فِيهَا لَا يَعْنِيهِمُ الْخَائِضُونَ فِيهَا لَا تَبْلُغُهُ عَقُولُهُمْ^(٩٥) .
وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« أَحْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلِّ مُنَافِقٍ عَلِيمٍ اللِّسَانِ »^(٩٦) .

وعن مصعب بن سعد قال : جاء عمر بن سعد إلى أبيه يسأله حاجة ، فتكلم بين حاجته بكلام فقال له سعد رضى الله عنه : ما كنت من حاجتك أبعد منك اليوم ، إني سمعت رسول الله ﷺ ، يقول « يَأْتِي النَّاسَ زَمَانٌ يَتَخَلَّلُونَ فِيهِ الْكَلَامَ بِالسِّنِّهِمْ كَمَا تَتَخَلَّلُ الْبَقَرُ الْكَلَاءُ بِالسِّنِّهَا »^(٩٧) أى يدير لسانه حول أسنانه مبالغة في إظهار بلاغته ، والكلاء : المرعى وخص البقر

(٩٤) أخرجه أحمد ٣٨٦/١ ، ومسلم ٥٨/٢ ، وأبو داود حديث رقم (٤٥٨٤) : ٣٦١/١٢ .

(٩٥) د . محمد أحمد عاشور في تعليقه على كتاب « الصمت » لابن أبي الدنيا ص ٩١ .

(٩٦) رواه أحمد في مسنده ٢٢/١ ، ٤٤ .

(٩٧) أحمد [١٦٥/٢ ، ١٨٧] ، وأبو داود حديث [٤٩٨٤] ٣١٧/١٣ ، ٣٤٨ « عون المعبود » ، والترمذى حديث [٣٠١١] ١٤٥/٨ ، ١٤٦ « تحفة الأحمدي » .

لأنها تجمع النبات بلسانها وليس بأسنانها^(٩٨) ، وقال عمر بن الخطاب رضى
الله عنه : إِنَّ شَقَاشِقَ الْكَلَامِ ، مِنْ شَقَاشِقِ الشَّيْطَانِ^(٩٩) والشقاشق : جمع
شقشقة وهى الجلدۃ الحمراء التى يخرجها الجمل من جوفه .

(٩٨) د . محمد أحمد عاشور فى تعليقه على كتاب « الصمت » لابن أبى الدنيا ص ٩٢ .
(٩٩) البخارى فى شرح الأدب المفرد ، ٣٢٥/٢ ، ٣٢٦ بلفظ « إن كثرة الكلام فى الخطب من شقاشق
الشیطان » وابن أبى الدنيا ص ٩٣ .

فَعَلَى الْمَوْتِ نَزَلَ لَيْسَانُهُ عَبْرَ هَذِهِ الْآفَاتِ

- ١٥ -

الدقائق اللفظية

ينبغي التنبيه لدقائق الخطأ في فحوى الكلام والحذر من الغفلة منها سيما فيما يتعلق بالله سبحانه وتعالى في أسمائه وصفاته .

فمن حذيفة رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ : مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتُ » (١٠٠) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فكلّمه في بعض الأمر ، فقال : ما شاء الله وشئت فقال النبي ﷺ « أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا قُلْ : مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ » (١٠١) وخطب رجل عند النبي ﷺ فقال : مَنْ يُطِيعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشِدَ ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَى فَقَالَ : « بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ ، لَا تَقُلْ هَكَذَا قُلْ : مَنْ يُطِيعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشِدَ وَمَنْ يَعْصِرِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ غَوَى » (١٠٢) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « إِنْ أَحَدَكُمْ لِيُشْرِكُ حَتَّى يُشْرِكَ بِكَلْبِهِ ، يَقُولُ لَوْلَاهُ لَسُرِقْنَا اللَّيْلَةَ » (١٠٣) .

(١٠٠) رواه أبو داود رقم (٤٩٥٩) ٣٢٦/١٢ ، البيهقي ٢١٦/٣ ، وابن ماجه (٢١١٧) ٦٨٤/١ ، وقد رواه البخارى ٢٣٩٧ ، ومسلم ٢٦٧٨ .

(١٠١) البخارى فى الأدب المفرد حديث (٣٣٩) : ٢٥٣/٢ ، ورواه أحمد والبيهقى بلفظ « أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ عِدْلًا » بمعنى مثلاً وشيئها .

(١٠٢) أخرجه أحمد (٢٥٦/٤ ، ٣٧٩) ومسلم ١٢/٣ ، ١٣ ، وأبو داود [١٠٨٦] (٤٩/٣) .

(١٠٣) « الصمت » لابن أبى الدنيا ص ١٩١ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من حَلَفَ مِنْكُمْ بِاللَّاتِ فَلْيَقُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .. وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ : تَعَالَى أَقَامِرُكَ فَلْيَتَّصِدَقْ » (١٠٤) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ « إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تُحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ » قال عمر والله ما حلفت بها مذ سمعت رسول الله ﷺ ينهى عنها (١٠٥) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ حَبِثْتُ نَفْسِي ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ : لَقِستُ » (١٠٦) .

وعن أبي هريرة رضي عنه : قال : قال رسول الله ﷺ : « لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَلَا أُمِّي كُلُّكُمْ عِيْدُ اللَّهِ وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللَّهِ وَلِيَقُلْ غُلَامِي وَجَارِيتِي ، وَلَا يَقُلْ الْمَمْلُوكُ : رَبِّي ، وَلَا رَبَّتِي ، وَلِيَقُلْ : سَيِّدِي ، وَسَيِّدَتِي ، فَكُلُّكُمْ عِيْدُ اللَّهِ وَالرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى » (١٠٧) .

وله روايات مختلفة منها قوله عليه السلام « لا يقل أحدكم اسق ربك أطعم ربك دفيء ربك ، ولا يقل أحدكم ربى وليقل سيدي ، ولا يقل أحدكم عبدى ، أمتى وليقل فتاى ، فتاى ، غلامى » وفي رواية « فَإِنَّ مَوْلَاكُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ » وفي أخرى « كُلُّكُمْ عِيْدُ اللَّهِ ، وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللَّهِ » .

(١٠٤) رواه البخارى ٣٣/٨ ، ١٦٥ ، ومسلم ٨١/٥ ، وأبو داود (٣٢٣١) : ٧٤/٩ ، ٧٥ .
(١٠٥) أخرجه أحمد ، والبخارى ٣٣/٨ ، ١٦٤ ، ومسلم ٨٠/٥ ، ٨١ ومالك وأبو داود وابن ماجه والترمذى .

(١٠٦) البخارى ٥١/٨ ومسلم ٤٧/٧ ، وأحمد وأبو داود [٤٩٥٨] ٣٢٥/١٣ ، وعبد الرزاق وقال د . محمد أحمد عاشور فى تعليقه عليه فى كتاب « الصمت » ص ١٩٣ ولقست وخبثت بمعنى واحد وإنما كره لفظ الخبث لبشاعة الاسم وعلمهم الأدب فى الألفاظ واستعمال حسنها وهجران خبثها ، وقال الراغب : الخبث يطلق على الباطل فى الاعتقاد والكذب والتبجح فى الفعل ا . ه .

(١٠٧) انظر الأدب المفرد للبخارى [٢١٠] ٢٢٩/١ ، ٣٠٠ ، ومسلم ٤٦/٧ ، ٤٧ ، وأحمد [٣١٦/٢] ، ٤٢٣ ، ٤٦٢ ، ٤٨٤ .

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه ، رضى الله عنهما أن النبی ﷺ قال :
« لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ : سَيِّدُنَا فَإِنَّهُ إِنْ يَكُنْ سَيِّدُكُمْ فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ
رَبَّكُمْ » (١٠٨) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبی ﷺ قال : « إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ
فَلَا يَقُلْ : اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمَ وَلِيُعْظِمَ الرَّغْبَةُ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاطَمُهُ
شَيْءٌ أَعْظَاهُ » (١٠٩) .

كذلك لا يقول « أعوذ بالله وبك » ولا يقول « لولا الله وفلان »
ولا يقول « نعتمد على الله وعليك » ولكن يجوز أن يقول أعوذ بالله ثم بك ،
ولولا الله ثم فلان ، ونعتمد على الله ثم عليك وهكذا .

(١٠٨) أخرجه أحمد [٣٤٦/٥ ، ٣٤٧] والبخارى فى الأدب المفرد [٧٦٠] ٢/٢٣٠ ، وأبو داود [٤٩٥٦] ١٣/٣٢٣ ، ٣٢٤ ولما كان المنافق غير مستحق للسؤدد وموصوفاً بالنقص فإنه لا يستحق هذا الاسم ، وإن يكن سيِّداً فقد وجبت طاعته فإذا أطعتموه فقد أسخطتم الله عز وجل . ١٠ هـ .
د . محمد أحمد عاشور « الصمت » ص ١٩٤ .

(١٠٩) رواه مسلم ٦٤/٨ ، وأبو داود [١٤٧٠] ٤٠/٣٥٦ [عون المعبود] والترمذى [٣٥٦٤] ٩/٤٧٠ (تحفة الأحوذى) .

من آداب اللسان في حق الأخوة^(١١٠)

اعلم أن الألفة ثمرة حسن الخلق والتفرق ثمرة سوء الخلق ، فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف ، وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر . ولا يتأتى ذلك إلا بحفظ اللسان ، وذلك بالسكوت مرة وبالنطق أخرى ، أما السكوت فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه في غيبته وحضرته بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به ولا يماريه ولا يناقشه ، وأن يسكت عن التجسس والسؤال عن أحواله ، وإذا رآه في طريق أو حاجة لم يفاتحه بذكر غرضه من مصدره ومورده ولا يسأل فرما يثقل عليه ذكره أو يحتاج إلى أن يكذب فيه ، وليسكت عن أسراره التي بثها إليه ولا ييشها إلى غيره البتة ولا إلى أخص أصدقائه ولا يكشف شيئاً منها ولو بعد القطيعة والوحشة فإن ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن ، وأن يسكت عن القدح في أحبائه وأهله وولده وأن يسكت عن حكاية قدح غيره فيه ، فإن الذي سبك من بلغك ، ولا ينبغي أن يخفى ما يسمع من الثناء عليه فإن السرور أولاً به يحصل من المبلغ للمدح ثم من القائل ، وإخفاء ذلك من الحسد ، وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلاً إلا إذا أوجب عليه النطق في أمر بالمعروف أو نهى عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت فإن ذاك لا يبالي بكرهته فإن ذلك إحسان إليه في التحقيق وإن كان يظن أنها إساءة في الظاهر أما ذكر مساوئه وعيوبه ومساوئ أهله فهو من الغيبة وذلك حرام في حق كل مسلم ويزجر عنه أمران :

(١١٠) (كتاب تهذيب موعظة المؤمنين) الشيخ محمد جمال الدين القاسمي ص ١٧٥ .

١ - أن تطالع أحوال نفسك فإن وجدت فيها شيئاً واحداً مذموماً فهوّن على نفسك ما تراه من أخيك وقدّر أنه عاجز عن قهر نفسه في تلك الخصلة الواحدة كما أنك عاجز عما أنت مبتلى به ولا تستثقله بخصلة واحدة مذمومة فأى الرجال المهذب .

٢ - أن تعلم أنك لو طلبت منزهاً عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولن تجد من تصاحبه أصلاً ، فما من أحد من الناس إلا وله محاسن ومساوىء فإذا غلبت المحاسن المساوىء فهو الغاية والمنتهى ، فالمؤمن الكريم أبداً يحضر في نفسه محاسن أخيه ، لينبعث من قلبه التوقير والود والاحترام ، وأما المنافق اللئيم فإنه أبداً يلاحظ المساوىء والعيوب ، قال « ابن المبارك » « المؤمن يطلب المعاذير ، والمنافق يطلب العثرات » وقال الفضيل « الفتوة العفو عن زلات الإخوان » وذلك قال عليه السلام « اسْتَعِيدُوا بِاللّهِ مِنْ جَارِ السَّوِّىِّ الَّذِى إِنْ رَأَى خَيْرًا سَتَرَهُ وَإِنْ رَأَى شَرًّا أَظْهَرَهُ » والأخوة كما تقتضى السكوت عن المكاره تقتضى أيضاً النطق بالحباب ، بل هو أخصّ بالأخوة لأن من قنع بالسكوت صحب أهل القبور ، وإنما يراد الإخوة ليستفاد منهم لا ليتخلص من أذاهم والسكوت معناه كف الأذى ، فعليه أن يتودد إليه بلسانه ويتفقد في أحواله التى يحب أن يتفقد فيها ، كالسؤال عن عارض ألمّ به وإظهار شغل القلب بسببه واستبطاء العافية عنه ، وكذا جملة أحواله التى يكرهها ينبغى أن يظهر بلسانه وأفعاله كراهها ، وجملة أحواله التى يسرّ بها ينبغى أن يظهر بلسانه مشاركتة له فى السرور بها ، فمعنى الأخوة المساهمة فى السراء والضراء وقد قال عليه السلام « إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ »^(١١٢) فإن ذلك يورث المحبة ومن ذلك أن

(١١١) قال الحافظ العراقى : أخرجه البخارى فى التاريخ من حديث أبى هريرة بسند ضعيف ، وللنسائى من حديث أبى هريرة وأبى سعيد بسند صحيح .

(١١٢) رواه الترمذى من حديث المقدام بن معديكرب الكندى (٢٣٩٣) بلفظ (فليعلمه إياه) .

تدعوه بأحب أسمائه قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه « ثلاث يصن لك
ود أخيك ، أن تسلم عليه إذا لقيته أولاً ، وتوسع له فى المجلس ، وتدعوه
بأحب أسمائه » ومن ذلك أن تشكره على صنيعه ، وتثنى عليه بما تعرف من
محاسن أحواله عند من يؤثر هو الشئاء عنده فإن ذلك من أعظم الأسباب
فى جلب المحبة ، وكذلك النصيح له فى السر قال ذو النون : « لا تصحب
مع الله إلا الموافقة ولا مع الخلق بالمناصحة ، ولا مع النفس إلا بالمخالفة »

* قال الشيخ جمال الدين القاسمى رحمه الله :

أدب التكلم

الكلام معيار فضل المرء وأدبه لأن فضله لا يظهر إلا بمنطقه فينبغي اعتياد المنطق بالحكمة بكثرة سماعها واجتناب التكلف والتعقيد وينبغي التكلم بصوت متوسط وعلى قدر اللزوم فإن من رفع صوته زيادة عن العادة وقدر الحاجة نفر السامع من كلامه وأوجب كراهة الناس له فلا يحبون محادثته ومؤانسته على أن كثرة الصياح والصراخ توجب ضعف أعضاء التنفس ويحصل للإنسان بها بحة الصوت وصداع الرأس وضعف العينين كما أن زيادة خفض الصوت توجب صعوبة سماعه وتكلف المستمع زيادة الإصغاء وربما تخفى بعض ألفاظه فلا تسمع أو تشبه على السامع غيرها فيفهم منها خلاف غرض قائله ، فمن تمام الأدب والصحة أن يكون صوت الإنسان في خطابه متوسطاً معتدلاً بقدر اللزوم لا عاليًا يتعب المتكلم ويزعج السامع ولا منخفضًا جدًا يضعف عن الوصول إلى السامع . وينبغي أن لا يكون بتأني زائد وبطء يمل السامع ويطول به الوقت بل يكون وسطاً ولا يكون كلامه بشدة وحدة مثل المغتاظ والغضبان ولا برخاوة وتكسر ككلام النسوان ولا بتشدق فينقذف معه لعاب أو بصاق بل يكون كلامه كلام الرجال الشجعان مع بشاشة الوجه وحلاوة اللسان فكم من أمور صعبة متعسرة يسهلها عذوبة اللفظ وحسن البيان ولا يهش إلى كافة الناس هشاشة تجسرهم عليه فيضيق بهم ذرعاً ولا يصبر على ما يحبون منه ولا ينقبض عنهم انقباضاً يوحشه منهم ويمنعه من رفدهم ولكن ليلق الأعيان بالترحيب والمفاوضة ومن قصر عنهم بحسن اللقاء والصمت وسفلهم بالرافة وحسن المعونة وعليه إذا كلمه أحد أن يقبل عليه ويحسن الإصغاء إليه ولا يتشاغل عن كلامه ولا يقطع عليه القول حتى إذا خطر بباله شيء يجب أن يذكره - يصبر حتى يفرغ صاحبه ثم يتكلم وعليه أن لا يذكر أحدًا من رفقاءه

إلا باسمه مقروناً بتفخيم أو بلقبه الذى يعجبه ويحبه ولا يسمى أحداً باسم
يكرهه ولا يناديه ولا يخاطبه به وعليه أن يكفّ لسانه عن لفظ قبيح معيب
كأعضاء العورة فيكنى عنها لدى الضرورة وعليه أن يتخذ الصدق فى أقواله
عادة لازمة وطبيعة دائمة فإن فيه السلامة والنجاح . والكذاب فاقد الثقة بين
أهله ولا صديق له ولا يقبل قوله حتى فى الصدق وضرره يعود على نفسه
وغيره وعليه إذا اضطر لمعارضة أحد أن يقول . لعل الشأن كذا . وعليه إذا
رغب لأحد فى أمر أن يسأله ما يتحمله طبعه وما تنشرح إليه نفسه ويجب
الاحتراز عن الألفاظ الحشوية التى تتخلل كلام بعض اللكن والدعن كما يجب
ترك فاحش القول فإنه أقبح داء وأسوأ آفة للوقار والبهاء .

وفيه تجربة السفلة على الوقاحة وهى من أخلاق الأدنياء ، سرى داؤها إلى
غيرهم من الترخيص لهم فى الجلوس معهم والانبساط إليهم ، لإضحاحهم
ورضاهم بمعاشرتهم وما تضمينهم القبيح إلا نفاث سموم تسرب فى جسم الحكمة
والأدب فتفسده . وعلى المتكلم أن يتجنب الحلف فى كلامه وإن كان صادقاً
توقيراً للفظ الكريم ، وتباعداً عن إيهام الدخيل فى كلامه لترويح مأربه .

وعليه أن لا يباحث فى المسائل المذهبية التى تولد الضغائن والتعصب فإنها
من أعظم آفات العمران وأشدّ عامل على التفرقة والانقسام . وعليه أن لا يكون
مكثرًا فى القول مستغرقًا الجلسة فى طول حديثه ملجمًا الغير عن المشاركة
فإن ذلك مضجر للجلساء ، ومن دلائل الطيش والخفة ، فمن بسط لسانه
قبض إخوانه ، ودواؤه الإعراض لأن حسن الاستماع قوة للمحدث .

تم الكتاب وربنا محمود وله المكارم والعلا والجلود
وعلى النبى محمد صلواته ما ناح قمرى وأورق عود
والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٧
فضل الصمت وحفظ اللسان	٨
فعلى المؤمن أن ينزه لسانه من هذه الآفات	١١
[١] الكذب	١٢
صور من الوفاء بالوعد	١٥
ما رخص فيه من الكذب	١٦
[٢] السخرية والاستهزاء	١٧
[٣] الفحش والسب وبذاءة اللسان	٢٠
[٤] الغيبة	٢٢
[٥] التهمة	٢٦
[٦] إفشاء السر	٢٩
[٧] ذو اللسانين وذو الوجهين	٣١
[٨] المراء والجدال والمخاصمة	٣٣
[٩] الحسد	٣٥
[١٠] الكلام فيما لا يعنى وكذلك فضول الكلام	٣٧
[١١] الخوض فى الباطل	٣٩
[١٢] اللعن	٤١
[١٣] المدح	٤٢
[١٤] التقعر فى الكلام	٤٤
[١٥] الدقائق اللفظية	٤٦
من آداب اللسان فى حق الأخوة	٤٩
أدب التكلم	٥٢

هذا الكتاب

هذا الكتاب الذى بين يديك يتناول موضوعات قلّ أن يتناولها الباحثون . فهو يعرض لفضل الصمت وحفظ اللسان ويتغلغل ببصره وبصيرته فى خفايا آفاته فيحللها بأسلوب سهل مبسط ويفرد لها الفصول الواحدة بعد الأخرى ، حتى تتضح السبل لمن أراد أن يسلك فى الدنيا والآخرة طريق الرشاد .

فاللسان هو المترجم لما حواه القلب ، وهو الناطق بما تعتمل به النفس . فمع صغر حجمه وقلة جرمه تعظم طاعاته وإثمه . ولا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادته .

وفيه قال صلى الله عليه وسلم : « وهل يكبّ الناس على وجوههم فى النار إلا حصائد ألسنتهم » .

فما أحرى بالمسلم أن يصون لسانه عما فيه هلكته ، وينأى بنفسه عن موارد حتفه بنجس لسانه وطول سجنه .